الحرب والإنسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: الأسر نموذجا

الطالب/ محمد ناصري
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس -الجزائر
tashfine82@gmail.com

الأستاذ الدكتور/ خالد بلعربي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس -الجزائر
belarbi.tlemcen@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 18-02-2019 تاريخ القبول: 20-02-2019 تاريخ النشر: 18-03-2019

Abstract :

the zianide state has knoun many political disorders which have turnd into a military conflit and that opend the door to the emergence of many issues and practices most notably the issue of prisones which formed a crisis especially because the zianide has knoun military conflicts most of its time.We will try in this article to speak on the activity of prisones during the periode of zianide.

ملخص

يجد المطلع على مصادر تاريخ الدولة الزيانية، أن هذه الأخيرة عرفت في العديد من فتراتها إضطرابات سياسية التي تحولت بدورها إلى صراع عسكري، سواء مع الحفصيين والمرينيين من جهة، أو مع القبائل العربية والبربرية من جهة أخرى، وهو ما نتج عنه بروز مجموعة من الإفرازات والممارسات ، لعل أبرزها مسألة الأسرى والسبايا التي شكلت أزمة أرقت إنسان المرحلة، خصوصا أن الدولة الزيانية عرفت صراعا عسكريا في أغلب فتراتها، فيحق القول بأن تاريخ الدولة الزيانية في مجمله تاريخ حرب تخللته فترات سلم، وليس العكس مما يشاع في بعض الدراسات الأكاديمية، وبهذا الصدد سنحاول تسليط الضوء على موضوع

المشار إليه في العنوان، من خلال رصد مصدري لبعض الوقائع العسكرية التي شهدت الأسر والسبي، مع تتبع مصيرهم وسبل تحريريهم.

الكلمات المفتاحية: ممهدات - الطب - التراث — العلوم - الإسلامية

مقدمة:

تمثل ظاهرة الأسرى إحدى أهم القضايا على مر العصور، بما تنطوي عليه من رمزية تحيل على مختلف صنوف المعاناة البشرية، من سلب للحرية وإهانة وتنكيل، والمطلع على التاريخ السياسي والعسكري لتاريخ الغرب الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ المغرب الأوسط بصفة خاصة، يلحظ جيدا مدى حضور قضية الأسرى في مصادر المرحلة، بحكم أن الحرب تعتبر بوابة رئيسية للأسر والسبي، أو بعبارة أوضح قناة هامة لخلخلة منحنى السيرورة الديمغرافية، سواء على مستوياتها العرقية أو النفسية، خصوصا مع ما ينطوي عليه مصطلح الأسر من تراجيديا كفيلة ببث الحزن في النفس، وعليه فقد حفل العهد الزياني في معظم فتراته باضطرابات سياسية، ترجمت وارتسمت على الساحة العسكرية من خلال المعارك والغارات، التي عانى منها المنهزم وتحول من إنسان حر إلى مجرد رقم ضمن غنيمة كانت أسمى مايسعى إليه إنسان ما بعد الموحدين، وهو ماسنحاول رصده في الصفحات التالية بناءا على الإشكالية المرتبطة أساسا بمدى رواج هذا النشاط، إضافة إلى وضعية الأسير وسبل تحريره:

1-أسر الجنود والمقاتلين:

أسفرت الحروب والغارات التي شنها بنو عبد الواد على مختلف الجبهات، عن سقوط العديد من الأسرى من مختلف القبائل العربية والبربرية، على أن هؤلاء تنوعت شرائحهم وأجناسهم، حيث اعتبروا جزءا من الغنيمة، وتكشف بعض الإشارات المبعثرة بين مختلف

المصادر عن ارتجاج المنظومة الإجتماعية، بما انجر عنها من اضطرابات في الحالة النفسية للساكنة، كيف لا وهم يعيشون في حالة حرب معرضون في خضمها بالأسر والسبي في أي لحظة، سنحاول في هذا العنصر تقديم نماذج لمعارك شنتها السلطة الزيانية سواء في الجبهة الداخلية ضد المعارضين، أو في الجبهة الخارجية ضد المرينيين والحفصيين،رغم أن المصادر شحت علينا بالتفصيل في حيثيات الأسر والسبي، مكتفية بكلمات معدودة في خضم سرد المعارك عن حجم الغنائم وأسر المقاتلين وسبي النساء.

رغم تمكن أبو زكريا الحفصي من السيطرة على تلمسان سنة 639ھ/1241م، غير أن يغمراسن المنسحب إلى الصحراء لم يستسلم له وشرع في شن الغارات قصد زعزعة معسكر الحفصيين، ماأسفر عن سقوط عدة أسرى في يده من جيش أبو زكريا[1]، والتركيز على تخطف الجند دون بقية الغنائم له دلالته النفسية، إذ من شأنه أن يبث الإضطراب في الجيش الحفصي، فيصبح التركيز على الأمن داخل المعسكر أولى من الهجوم على تلمسان، إضافة إلى انتشار الريبة في نفوس الجنود، لأن الأسير مآله إما القتل أو الإسترقاق أو السجن في أسوأ الظروف، زيادة على البعد عن الوطن والأهل.

وبعد إحياء الدولة من طرف أبو سعيد وأبو ثابت سنة 749ھ/1348م توجها لإستعادة السيطرة على تلمسان، وتواجها في معركة بأسكاك مع المرينيين نتج عنها أسر جنود الجيش المريني الرابض بتلمسان[2]، ويبدو أن التركيبة البشرية لهؤلاء الأسرى كانت متنوعة، نفترض ذلك أمام سكوت النص عن التوضيح أكثر عن العدد الإجمالي[3].

توغل أبو حمو موسى الثاني في المغرب الأوسط محتشدا العرب يروم شن غارات على المناطق الواقعة تحت الحكم المريني، وكانت ميلة[4] إحدى محطاته، حيث أسر جنود الحامية

المرينية المتواجدة بها[5] ، وواصل تحركاته إلى جبل بني ثابت وأسر ثمانين فارسا آخر كانوا متحصنين به[6] .

لم يكن بنو مرين الهدف الوحيد لأبي حمو، بل حتى أنصارهم من القبائل العربية، خاصة قبيلة سويد التي كانت مقربة من السلطة المرينية[7]، حيث شن عليهم عدة معارك وغارات، منها التي أغار عليهم بمنطقة ملال، فكان من غنيمتها أسر العديد من أفراد هذه القبيلة[8]، وهي من القبائل العربية ذات الكثرة العددية، وبالتالي فضربهم بسلسلة من الغارات هو محاولة من أبي حمو إضعاف القوة العسكرية للمرينيين، وإذخار هؤلاء الأسرى تحسبا لأي عملية مبادلة بين أسرى الدولة الزيانية وبين المرينيين الذين لايمكنهم التخلي عن حليف قوي لهم كقبيلة سويد، كما سيطر أبو يعقوب على المدية " وأسر من كان بها من العدو"[9]، وباغت قبيلة زغبة[10]سنة 773ه/1371م بمنطقة ذراع الوسط وأسر الكثير منهم[11] .

رغم أن معظم الغارات والمعارك في فترة حكم أبي حمو موسى الثاني كانت في الجبهة الغربية ضد المرينيين، إلا أن ذلك لا يعني خمول النشاط العسكري في الجبهة الشرقية، إذ كثيرا ما وجه سرايا وكتائب لشن غارات على مختلف المناطق في هذه المجالات، خصوصا أن مؤسس الدولة يغمراسن اكتشف ذلك في صراعه مع المرينيين، فأوصى خلفه بأن يركز هجماته على الجهة الشرقية ليحشد منها الجيوش حتى تكون له سندا في مواجهة المرينيين.

وفي هذا الإطار خرج الوزير عبد الله بن مسلم سنة 760ه/1358م وتمكن من السيطرة على وطني حمزة، وبني حسن وتاغزوت، وبيطار، وكانت كلها تحت حكم الحفصيين، حيث أسر أنصار السلطة الحفصية بهذه المناطق[12]، وأغار على متيجة سنة 761ه/1359م ورجع إلى تلمسان وفي قبضته العديد من أفراد قبيلة الثعالبة[13]، وفي سنة

774ه/1372م أغار على مغراوة في جبل بني يلسيت انتهت بأسر جميع أفراد مغراوة[14]، ورغم استنجادهم بأبي زيان المعارض لأبي حمو، غير أنها كانت فرصة أخرى لتمتلئ أيدي أبو حمو بالأسرى[15]،لتتجدد المواجهة معه في مازونة سنة 777ه/1375م فأوسع في جنوده أسرا[16].

ومن جهة أخرى كان جنود الدولة الزيانية وأنصارها من القبائل عرضة للأسر في مختلف المعارك والغارات التي كانت طرفا فيها، ففي معركة أنكاد هزم أبو عنان المريني بنو عبد الواد وأسروا المئات منهم[17]،كما عرفت الواجهة البحرية نشاط القرصنة، ورغم أن المادة المتوفرة تكاد تنعدم إلا أننا نرجح أن الغارات البحرية عرفت نشاطا معتبرا، خاصة من طرف سكان المدن الساحلية، نظرا لما تدره من مداخيل مالية معتبرة، فقد كان تجار وهران كثيرا مايجهزون سفنا لممارسة نشاط القرصنة ويشنون الغارات على سواحل قطلونية وميورقة ومنورقة ويابسة، حتى أصبحت مدينة وهران " تزخر بالأسرى المسيحيين"[18].

2-أسر الزعماء:

يعتبر القائد أو شيخ القبيلة في المعارك بمثابة المدير للحرب والموجه للجنود، فوجوده في ساحة المعركة من شأنه أن يكسب حشده أو جيشه تنظيما، وعلى النقيض من ذلك فإن أي طارئ يحدث للقائد سواء قتل أو أسر فإنه يزعزع الجيش، ولهذا فإن أسر وجوه القوم والقادة يكتسي أهمية، سواء من ناحية ترجيح كفة المعركة، أو من الناحية المالية باعتبار قيمته العالية لتحريره، ومن ناحية أخرى في المساومة والضغط والإبتزاز للقبول بشروط يفرضها الآسر، وقد عرف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني هذه الظاهرة، وفقا لما رصدته مصادر المرحلة عن وقوع العديد من قادة الدولة المرينية في أسرهم، وأيضا العديد من شيوخ القبائل العربية

والبربرية، وفي المقابل تكبدت الدولة الزيانية خسائر في قادتها الذين أسروا في مجموعة من المعارك مع المرينيين على وجه الخصوص:

أفصحت النصوص عن سقوط بعض وجوه القبائل في ربقة الأسر، مثل صغير بن عامر، وهو من وجوه قبيلة بني عامر، حيث شك في ولائه السلطان أبو ثابت فقبض عليه وسجنه بتلمسان[19]،كما أسر أبي حمو موسى الثاني كل من أبو بكر بن عريف وأخوه عبد الرحمن بمنطقة ملال سنة 759ه/1357م في إطار حركته العسكرية لإحياء الدولة[20]، كما أسر يحيى بن علي بن فارح حاكم المدية، وفارح حاكم مليانة وحاميته من جنود الدولة المرينية، وذلك في معركة وجه فيها أبي حمو موسى الثاني جيشا بقيادة وزيره عبد الله بن مسلم للسيطرة على المدية ومليانة[21]، ليتكرر المشهد سنة 762ه/1360م أين حاصر أبو حمو موسى الثاني مدينة وهران إلى أن استسلم أهلها الذي سمح لجيشه بأسر ساكنتها[22].

وكان تحرك أبو حمو إلى وهران سببا موجبا لفرار حاكمها أحمد بن أجانا، غير أنه أسر وأخذ إلى أبي حمو[23] وفي نفس الإطار أسر أبي حمو موسى الثاني حاكم تنس ابن أحشمي وأخذ "إلى بابه الكريم معتقلا بماله وأسبابه"[24]، ولما كانت القبائل العربية متباينة الولاء لأبي حمو وخلعهم طاعته في عدة مرات، فإنه شك في ولاء خالد بن عامر، فكان سببا موجبا لاعتقاله وسجنه[25]، إضافة إلى محمد بن ونزمار الذي فعل معه أبي حمو نفس الأمر بسبب تذبذبه في ولائه له[26].

من جهة أخرى، سقط العديد من وجوه الدولة الزيانية في ربقة الأسر في عدة معارك مع المرينيين، من بينهم بيرنيس قائد الجند النصارى في جيش يغمراسن، حيث أسر في معركة إيسلي سنة 670ه/1271م، والأمير أبو سعيد الذي أسر في معركة أنكاد سنة

753ه/1352م[27] ، ورغم أن فلول الجيش بقيادة أبي ثابت، ومعه وجوه من بني عبد الواد قد تمكنوا من الفرار إلى الأراضي الحفصية، إلا أن أبا عنان أرسل الجواسيس للبحث عنهم، وتمكنوا من القبض على الأمير أبي ثابت وابن أخيه محمد بن أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود[28].

وتجمع نصوص أخرى أن العديد من عمال ووزراء الدولة الزيانية وقعوا في ربقة الأسر، مثلما هو الحال مع موسى بن علي بن برغوث وزير أبو حمو موسى الثاني الذي أسر سنة 760ه/1358م، بعد أن تفرقت عنه حشوده في إحدى المعارك مع المرينيين[29] ، كما استسلم في واقعة أخرى سنة 768ه/1366م " وألقى بيده إلى العدو،فأسره وتملك البلدين"[30].

ويبدو أن فترة حكم أبو حمو موسى الثاني عرفت الكثير من المواجهات مع المرينيين، وهو ماعكسته نصوص المرحلة عن وقوع الكثير من رجال حاشيته في قبضة المرينيين، مثلما هو الحال مع مولاه عطية الذي أسر سنة 774ه/1372م[31]، إضافة لذلك فقد أسر ولديه فارس وعثمان وسلما لأبي زيان[32]كما أسفرت مواجهة أبي تاشفين الثاني بدعم المرينيين مع والده أبي حمو موسى الثاني عن أسر أحد أفراد الأسرة الحاكمة، وهو عمير ابن أبو حمو موسى الثاني[33].

على أن الخطر العسكري لم يكن في البر فقط، بل حتى في البحر، فقد كان نشاط القرصنة يلقي بظلاله على البحر الأبيض المتوسط، وذلك في ظل ضعف الدول المغاربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فاستغل النصارى ملأ هذا الفراغ، وشنوا العديد من عمليات القرصنة على السفن الإسلامية، رغم أن المصادر شحت علينا بذكر هذه التفاصيل إلا ماندر منها، من ذلك قرصنة النصارى سنة 768ه/1366م " مركبا قادما على مرسى هنين المحروسة

بهدية ملك الأندلس إلى أمير المسلمين، وفيه صاحب أشغال الخليفة أعلى الله مقامه، محمد ابن قضيب الرصاص"[34].

3-سبي النساء والأطفال:

عموما فإن السبي هو في حقيقة الأمر صورة من تجليات الحرب والصراع، بين الدولة الزيانية، وجارتيها المرينيين والحفصيين، وأيضا القبائل العربية والبربرية المناوئة لها، ولهذا السبي آثاره النفسية على الفاقد لزوجته أو أخته أو ابنته في الحرب، وكذا يخلف آثار على المرأة التي تسبى، فبعد تفاقم الحصار المريني على تلمسان طلبت نساء وحظايا القصر أن يقتلوهن حتى لا يتم سبيهن من طرف المرينيين[35] ونظرا لكثافته في الفترة مدار الدرس، نستطيع القول أنه شكل أزمة بأتم معنى الكلمة.

ويكفي استعراض النصوص التي قدمت عبارات مقتضبة عن حالات السبي في الغارات والمعارك، لتبين مدى ارتباطه الوثيق بالحرب، فهل مرجع ذلك إلى اعتبارات كتب السياسة الشرعية التي نظرت للغنيمة البشرية بما فيها النساء كجزء من الغنيمة؟

وإذا كانت الحرب باعتبارها ساحة للتقاتل بين الرجال الذين يمثلون الحلقة الأقوى بما خصهم الله من قوة جسمانية تعينهم على تحمل الصعاب، وإذا كانوا يتعرضون في حالة هزيمتهم إلى الأسر، فإن الأمر لايتوقف عند هذا الحد، بل يطال السبي إلى الجنس الناعم باعتباره جزء من الغنيمة البشرية، بل نزعم أنه العنصر المهم في مخيلة المقاتلين، بما ينطوي عليه من منظور شهواني يرتبط ارتباطا مباشرا بالجنس، وتحفل نصوص الفترة عن عمليات عديدة لسبي بني عبد الواد لنساء العدو عقب هزيمتهم لهم، وسبي العدو لنساء بني عبد الواد وحلفائهم، ويخيل إلى الدارس لتاريخ الحروب خلال الفترة مدار الدرس أن قصور الزيانيين والمرينيين والحفصيين قد

امتلأت بالسبايا، بل أكثر من ذلك نجزم أن الأسواق امتلأت بالسبايا جراء كثرة الحروب والغارات:

خلفت الحروب والغارات العديدة بين بني عبد الواد وبني توجين[36]، سقوط العديد من النساء والحظايا كسبايا في يد بني عبد الواد، من ذلك سبي إحدى الوصائف من ولد عنتر، والذي استأثر بها أحد وجوه البيت الزياني، وقد كان لهذا السبي تطورات أدت إلى امتزاج بين القبيلتين، حيث ولدت ذكرا يدعى معروف الكبير، الذي نشأ في البيت الزياني وأصبح وزيرا في عهد أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين الأول، وكان من وجوه الدولة المرموقين، بدليل أنه سعى لأخيه من أمه عيسى بن أبي الفتوح لدى أبي حمو الأول الذي عينه أميرا لمنطقة سعيدة[37].

وحدث نفس الأمر مع بني علي بن نصر بن مهيب وهم أيضا من بني توجين، أين سبيت إحدى وصائفهم وكانت من نصيب أحد وجوه البيت الزياني ويدعى موسى، وقد يكون موسى بن علي الكردي، حيث أنجبت ولدا يدعى بعطية بن موسى، ليصبح من عمال الدولة، فقد ولاه أبو حمو موسى الثاني ولاية الشلف وما يليها[38]، ليسقط في ربقة الأسر بيد المرينيين سنة 774ه/1372م[39].

ولم تخل معركة أو غارة من سبي للجنس الناعم، فقد احتفظت لنا بعض النصوص في خضم الحديث عن المعارك والغارات عن سبي، حتى أصبح سلوكا طبيعيا، فقد سبى أبو ثابت حرم وبنات أبي الحسن المريني عقب هزيمته له في تيعزيزن[40]كما أغار أبو حمو موسى الثاني على سويد بملال وسبى العديد من نسائهم[41] ، وإذا كانت بعض الغارات بأهداف سياسية وإقتصادية، فإن بعضها كان لأهداف جنسية محظة، ومن القرائن الدالة على ذلك انفراد

صاحب زهر البستان بنص يبين فيه خروج أبو حمو إلى ريغ "ليتسع في السبي البليغ"[42] وهو مايحيل بوضوح إلى رمزية السبي.

كما أسفرت مواجهة أبي تاشفين الثاني لمحمد بن عثمان المدعوم من طرف المرينيين، إلى عيث الجيش في الحريم المصاحب لهم عقب هزيمته في المعركة، ويبدو أن أعدادهم كانت معتبرة، حيث " امتلأت الأيدي سبيا"[43]، ويعتبر اصطحاب الحريم في الحروب نقطة ضعف يسعى الجيش دوما لحمايتها من المباغتة من طرف العدو، بالرغم من الأهمية التي يكتسيها هذا الإصطحاب خاصة في الأماكن البعيدة، حيث لما هاجم أبو حمو موسى الثاني معسكر العرب المساندين لأبي زيان، بادروا كأول ردة فعل على هذه المباغتة للدفاع عن نسائهم "للدفع عن الحرم ثورة رجل واحد"، غير أنهم انهزموا وسبيت نساؤهم[44].

تكررت المواجهة سنة 773ه/1371م مع زغبة، حيث سبى أبو حمو نسائهم[45]، كما استأصل مغراوة سبيا لنسائهم سنة 774ه/1372م في مواجهة هزمهم فيها[46]، وكرر عليهم الغارة سنة 776ه/1374م انتهت باستيلاءه على معسكرهم وسبي نسائهم[47].

وإذا كانت السلطة الزيانية قد تمكنت من التغلب في عدة مواجهات وسبي حريم المنهزم، فإن نساء هذه الدولة كانوا أيضا عرضة للسبي، فبعد هزيمة يغمراسن في معركة تلاغ سنة 666ه/1267م انسحب الجيش من المعركة وتركوا نسائهم غنيمة للمرينيين[48] ، كما سبيت حرمه وحظاياه في معركة ايسلي سنة 670ه/1271م[49]، ولم يكتفي أبو يوسف يعقوب المريني بذلك، بل واصل تقدمه إلى أحواز تلمسان وعاث سبيا في نسائها[50] ، كما عاث المرينيون في جيش أبو سعيد وأبو ثابت عقب معركة أنكاد سنة 753ه/1352م واستباح نسائهم سبيا[51]،ورغم تمكن أبي ثابت من الفرار من ساحة المعركة وإنقاذ ما أمكن

إنقاذه من الحريم، وفراره بهم مع فلوله إلى شلف، إلا أن المرينيين كرروا عليه الهزيمة واستاقوا نسائهم[52].

وفي إحدى المعارك بين أبو حمو موسى الثاني ومعارضه في السلطة ابن عمه أبو زيان، تمكن هذا الأخير من هزيمته، وسبي حظاياه، والتي من بينهن حظية كانت تحتل مكانة خاصة في قلب أبو حمو الثاني وهي ابنة يحيى الزابي، وقد كانت من نصيب أبي زيان من الغنائم، ورغم أنه تردد في اتخاذها للتسري إلا أن جماعة من الفقهاء أجازوا له ذلك[53].

لاشك أن فقدان المرأة في الحرب كسبية له أثر نفسي صعب على الأهل والقبيل، فهو يمثل إنقاص من قيمة وشرف القبيلة، وهو ومايعبر عنه ابن خلدون عن الغصة النفسية التي تجرعها أبو حمو الثاني من جراء هذا السبي بقوله "وخلص السلطان أبو حمو من هوة ذلك العصب بعد غصة الريق، ونجا إلى الجزائر لايكاد يرد النفس من شناعة ذلك الهول"[54].

إضافة لذلك فقد اضطر إلى ترك أرض المعركة والفرار، وذلك بعدما حيل بينه وبين معسكره الذي كان يحوي على أهله وأولاده[55]، كما "احتقبت حرمه وحظاياه إلى قصر السلطان" عقب هزيمته مع المرينيين سنة 774ه/1372م[56]، ليتواصل مشهد الهزيمة مع ابنه محمد الذي تجرعها أمام المرينيين قرب تلمسان سنة 797ه/1394م، ففر وترك جميع نسائه وحظاياه عرضة لنهب المرينيين[57].

4–وضعية الأسرى:

بعد نهاية المعركة، يتم تجميع الغنائم ليأخذ كل مقاتل نصيبه منها، ويوزع الأسرى والسبايا حسب مكانتهم[58]، ويحتفظ بوجوه الأسرى لإستخدامهم كورقة ضغط أو عملية مبادلة مع أعدائها، أما باقي الأسرى والسبايا فيوزعون على الجنود، واختلفت وضعياتهم،

فمنهم من بيع في الأسواق، على أن أسعارهم اختلفت حسب قيمة الأسرى وكميتهم،ففي أواخر القرن الثالث عشر تراوح سعر الأسير بين 8-20 دينار ذهبي، وفي سنة 728ه/1328م باع تاجر غرناطي 6 أسرى قطلانيين لتاجر تلمساني ب87دينار ذهبي[59]، كما بيعت أمة في نفس الفترة ب13 دينار ذهبا[60].

وفيما يخص وجوه الأسرى فقد كانوا يسجنون، من ذلك سجن الأمير الزياني أبي سعيد لدى المرينيين مقيدا لمدة تسعة أيام[61]، كما سجن خالد بن عمر من طرف أبي حمو الثاني[62]، وكان الأسير يعامل معاملة سيئة، فقد كان يقيد بالسلاسل، " ويذبح من تكاسل منهم دون معذرة"[63]ويشير أحد الباحثين إلى أن السلاسل والقيود كانت تلازم أسرى الحروب منذ القبض عليهم[64]، فأسرى بنو عبد الواد في معركة أنكاد ظلوا مسجونين في القيود لمدة عشر سنوات[65]، ليؤكد لنا صاحب زهر البستان نفس الرأي في نص آخر نقله لنا في حديثه عن أسرى وهران الذين كبلوا بالسلاسل عقب القبض عليهم[66].كما أدخل أبو عنان أسرى بني عبد الواد إلى فاس مكبلين السلاسل[67] وكانت هذه القيود تثقل كاهل الأسير، بل يمكن اعتبارها جزءا من تعذيبه، وأصبحت تشكل رمزية في ذهنية الساكنة، فالقيد يعبر عن القهر، لذلك انتشرت كرامات حول تحدي المتصوفة للقيود، فقد سجن أبو العباس بن الخياط من طرف أبو يعقوب المريني، " فلما تكبل كسرت عنه القيود"[68]، إضافة لذلك فقد كان الأسير مهان الشخصية يقوم بكل نشاطاته مرغما على ذلك، وكان يكوى بدون سبب[69] في شعور يسوده الكراهية تجاه سيده، كان من نتائجها تعدد حالات الإباق التي إن دلت على أمر فإنما تدل على المعاملة السيئة للأسير[70].

شكل الإسترقاق[71] أداة بناء وتعمير للدولة الزيانية، فيبدو أن تلمسان بالرغم من جهود أمرائها في تعمير المدينة والخروج من طور البداوة إلى الحضارة، إلا أن اليد العاملة الماهرة لم تسعفهم في ذلك، في ظل تناقص الحرف والصنائع، فوجدوا في هؤلاء الأسرى منفعة لتحقيق ما يصبون إليه، كما كان بعض الأسرى المسيحيين الذين يتحصل عليهم من نشاط القرصنة يستغلون من طرف أمراء الدولة الزيانية في مختلف النشاطات، من ذلك تسخير أبو تاشفين الأول لأسرى الإسبان في تشييد القصور[72]، ويبدو أن خبرة هؤلاء الأسرى ومايجيدونه من حرف قد جعل السلطة الزيانية تتمسك بهم، ففي جواب أبو حمو الثاني عن رسالة موجهة له من جاقمو الثاني ملك أراغون بخصوص تحرير الأسرى يقول " وأما تسريح ماعندنا من الأسرى فذلك مالايمكن أن يكون،لأنكم تعلمون أن ماملأ بلادنا إلا الأسرى وأكثرهم صناع متفننون في جميع أنواع الصنائع"[73]، والبعض منهم تمكن من الوصول لمراتب عليا في الدولة، مثلما هو الحال مع هلال القطلاني حاجب أبي تاشفين الأول[74]، إضافة إلى أنه كان سفيرا بينه وبين ملك أراغون جاقمو الثاني[75].

أما بخصوص الأسرى الذين يوزعون على الجنود فقد كانوا يسخرونهم للخدمة المنزلية من عجن للخبز ،وجلب الماء من السقايات، وكنس للبيت وطبخ وغسل للثياب وغيرها من أشغال البيت[76]، كما كانت بعض السبايا لا يزلن في مرحلة الطفولة، فكان أسيادهن يشترون لهن التماثيل المجسدة يلعبن بها كدمى، ومنهن من كانت تتمتع بموهبة الغناء فاستغلت في مجالس الطرب[77].

وجدير بالذكر أن عمل الأسير يرتبط إرتباطا مباشرا بالمحيط الإجتماعي والإقتصادي الذي ينتقل للعيش فيه، فالمقاتلون الذين يوزع عليهم الأسرى والسبايا، ينقسمون في إنتماءاتهم

السكنية بين الحاضرة والبادية، على أن النمط الإقتصادي في هذه الأخيرة، يتنوع بين الزراعة والرعي، وعليه فقد استخدم الأسرى في فلاحة الأرض ورعي المواشي وغيرها من النشاطات الإقتصادية المرتبطة بالبادية[78]، أما بخصوص الحاضرة فلها نمطها المعيشي والإقتصادي الخاص بها، فقد استخدم أسراها في التجارة ومختلف الحرف والصنائع.

كما كان ينظر لهؤلاء السبايا بنظرة مليئة بالشبق الجنسي، فقد اتخذوا للتسري[79]، بدليل ماذكرنا سابقا حول سبايا بني توجين الذين كانوا أم ولد في البلاط الزياني، وقد وردت بعض النوازل تثبت رأينا وهو ما كان يفتح الباب لمشاكل مع الزوجة، فقد وردت نازلة سئل فيها إبراهيم اليزناسني عن رجل اشترى أمة ورفضتها زوجته إلا بشرط أن يكتبها لها في صداقها مع السماح له بالتسري بها مع الحرص على أن لا تكون أم ولد[80] ، إلا أنه في بعض الحالات حدث عكس ذلك[81]، على أنه اعتبر عيبا في بيع الأمة[82] إضافة لمشاكل أخرى نشأت من قبيل وطئ الأب لأمة ابنه[83]، وكانت الأمة في عدة حالات مصدرا لمشاكل، فقد زنت أمة رجل مع جاره[84]، كما باع رجل أمة رأى منها بعض الفساد[85] .

كما كانوا يستغلون من طرف أسيادهن في خدمة البغاء، وإن كانت النصوص لم تسعفنا بإشارات تدعم رأينا،إلا أننا نستأنس بإسقاط انتشار هذه الممارسة على المغرب الأوسط بحكم وحدة الظاهرة والتطور البطيئ لمجتمع الغرب الإسلامي وفق نظرية الزمن الطويل، فقد ذكر الحميري أن لأغنياء جبل نفوسة جواري يعرضوهن في الطريق للبغاء[86]، كما رصد التيفاشي انتشار ممارسة البغاء، فقد انحصر نشاط بعض الجواري خصيصا لهذا الغرض فكانت تشترى ويسخرها سيدها حتى يجنى سيدها المال من جراء هذا النشاط، ويبدو أنها كانت واسعة الإنتشار وذات دخل مالي معتبر، فكثير من التجار كانوا يفلسون بسبب هذا

البغاء " ومنهم من لايرجع إلى بلده بدرهم من ماله، بل ينفقها...وربما عشق غلاما من أولئك الغلمان أو جارية من تلك الجواري، فكان ذلك أسرع لتلاف ماله ودماره"[87].

5-مصير الأسرى:

أ-ملاحظات أولية:

إذا كانت مصنفات الفقه الإسلامي وكتب السياسة الشرعية قد حددت أنواع الغنائم وأدرجت الأسرى والسبايا ضمن أقسامها، وحددت مصيرهم بين خمسة أمور متمثلة في القتل،والإسترقاق،المن،الفداء،الجزية[88]، إلا أنه يجدر بنا أن لانقع في خلط المفاهيم وإسقاطها على الفترة مدار الدرس، إذ تجدر الإشارة ولو بكلمات معدودة إلى مسألة ذات أهمية في هذا الإطار، ترتبط ارتباطا مباشرا بإشكالية تحديد مفهوم الغنيمة، فإذا كان الماوردي قد تحدث عن أن الغنيمة هي ماجاء من الحرب مع المشركين[89] فهذا يحدد على أن المواجهات العسكرية بين المسلمين والكفار هي التي ينطبق عليها تحديد الفقهاء لمفهوم الغنيمة.

إلا أن المواجهات العسكرية التي خاضها الزيانيون، والغارات التي شنوها كانت في حقيقة الأمر غيرة ومنافسة وعدوان، وهي بذلك حروب "بغي وفتنة"[90]،وعليه فمن العسير أن تعتبر غنائم، ومن جهة أخرى لم نصادف في نصوص المرحلة أي وقوف من الفقهاء في وجه السلطة السياسية، وهم الذين يعرفون الشريعة وكل متعلقاتها بما يخص الجهاد والبغي، فهل يمكن القول أن هذه الغارات والحروب التي تم فيها أسر وسبي أنها غنيمة ، هل نسمي الأمور بمسمياتها، فنتحدث عن إختطاف بدل الأسر والسبي؟

بغض النظر عن الملاحظات السابقة الذكر، فإن أسرى وسبايا المغرب الإسلامي في دول مابعد الموحدين التي هي حروب عدوانية، طبقت عليها أحكام مواجهات الجهاد، حيث

حفظت لنا نصوص المرحلة بعض الإشارات على قلتها، عن مصير أسرى وسبايا الحروب والغارات ، إذ تنوعت بين القتل، والتحرير بشقيه إما بمقابل مالي، أو بهبة من السلطة السياسية لظروف ودواعي معينة، فأسرى معركة ملال سنة 759ه/1357م من قبيلة سويد قتلهم أبو حمو الثاني[91]، ورغم منحه الأمان لساكنة قصبة وهران بعد استسلامهم له، إلا أنه قتل أربعة منهم بسبب " أمر بقتل أربعة من الخدام تقدمت لهم الجناية"[92]، ورغم منع المرينيين لأبي تاشفين الثاني من قتل أخيه عمير، إلا أنهم بعد أيام أتاحوا له ذلك[93]كما قتل الأمير أبو سعيد بعدما ظفر به المرينيون عقب معركة أنكاد سنة 753ه/1352م[94] ، وقتلوا الأمير أبو ثابت ووزيره يحيى بن علي بعدما تم التمثيل بهما " على جملين يتهاديان بهما بين سماطي ذلك المحمل"[95].

ب-المن:

على أن القتل لم يكن في جميع الحالات، استنادا إلى النصوص المتاحة، حيث أعتق يغمراسن تاغزوت أخت السعيد الموحدي وحرمه وأرسلهن إلى بلادهن مع مشيخة بني عبد الواد[96] ، كما أعتق عثمان بن يغمراسن حرم أولاد محمد بن عبد القوي و أعادهن إلى قومهن[97]، وبالمثل عفا أبو ثابت عن الفقيه أبو الحسن علي بن سعود[98]، وأعتق أيضا بعد سيطرته على الجزائر سنة 750ه/1349م، كل من عبد الله بن أبي الحسن المريني وكافله علي بن سعيد بن أجانا[99].

وظف أمراء السلطة الزيانية ورقة الأسرى والسبايا لتحقيق مصالحهم السياسية، خصوصا لاستقطاب القبائل العربية في صفها، وتبين لنا بعض الإشارات أن عدة قبائل عادت لفلك السلطة الزيانية عقب تسريح أمراء الدولة لحرمهم وجندهم إكراما منهم لهم، فبعد هزيمته

لبني عامر سنة 768ه/1366م عاث جنود أبي حمو الثاني فيهم أسرا وسبيا ونهبا، إلا أن أبي حمو أعاد لهم ماسبي وأسر لهم من قومهم[100] وهو ماكان له أثر إيجابي حقق له ماكان يروم من خلاله، حيث عادوا إلى طاعته[101]،كما أعتق أبو حمو موسى الثاني خمسة وعشرين أسيرا من أجواد العرب، من قبائل سويد وبني يعقوب والديالم والعطاف، مثل سعيد بن عثمان، وأخيه رحو،وعبد الرزاق بن عبد الواحد بن عبد الكريم، وأبي إبراهيم بن مظفر،وعلوش الصباحي[102].

كما شملت سياسة العفو هذه عمال المرينيين على بعض المناطق التي كانت تحت سيطرتهم في المغرب الأوسط، فبعد سيطرته على وهران أعتق حاكمها أحمد بن أجانا وسرحه إلى المغرب[103] وأعتق ابن أحشمي حاكم تنس[104]، إضافة لما سبق فقد أعتق أبو حمو الثاني كل من أمير سويد أبي بكر بن عريف وأخيه عبد الرحمن " وامتن عليهما بذلك امتنانا،وعفا عنهما تكرما وإحسانا"[105].

ج-المعاهدات وتحرير الأسرى:

بذلت السلطة الزيانية جهودا محمودة في سبيل تحرير أسراها، سواء لدى المرينيين والحفصيين، أو لدى ملوك الإسبان، وتبين بعض النصوص المتناثرة في المصادر أن الزيانيين خلال معاهدات السلم التي وقعوها مع المرينيين لم ينسوا أسراهم، بل فرضوا تحريرهم كشرط للصلح تارة، وعرضوا عليهم عملية مبادلة الأسرى من الطرفين، ومن جهة أخرى فقد وجدت أساليب أخرى لتحرير الأسرى خاصة بالمال، فتجارة العبيد أسالت لعاب التجار فمارسوها:

ففي سنة 762ه/1360م عقد أبو حمو موسى الثاني معاهدة صلح مع أبي سالم المريني، كان أهم شرط لأبو حمو فيها هو تسريح أسرى بنو عبد الواد من سجن المرينيين[106]،

وفي سنة 763ه/1361م عقد معاهدة صلح أخرى مع أبو زيان المريني اشترط فيها تحرير أسرى بني عبد الواد المأسورين في معركة أنجاد، حيث تم بموجبها تحرير ثلاثمائة أسير بنسائهم وأولادهم[107].

كما تمت العديد من المراسلات بين السلطة الزيانية وملوك قطلونيا وأراغون، تضمنت مواضيعها تحرير وتبادل الأسرى،ففي سنة 723ه/1323م أرسل جاقمو الثاني ملك أراغون رسالة لأبي تاشفين يطلب منه فيها تحرير 24 نصراني تمت قرصنتهم من إحدى السفن التي تعود للتاجر القطلاني خوان مانوال، حيث عرض عليهم أبو تاشفين زيادة على ذلك أن يطلق سراح ثلاثون نصراني آخر يحددهم هو شريطة عقد الصلح[108]، والغريب في الأمر أن جاقمو الثاني أراد الحصول على الأسرى دون دفع أي مقابل، ومايفهم من الرسالة أنه لذلك العهد لم يكن لدى أراغون أسرى من بني عبد الواد وإلا كانت تمت عملية مبادلة بين الطرفين.

وفي رسالة أخرى موجهة من أبو تاشفين الأول إلى جاقمو الثاني، رفض له فيها طلبه القاضي بتحرير الأسرى النصارى بتلمسان، متعللا بأن هؤلاء الأسرى يشكلون يد عاملة محترفة تساهم إسهاما فعالا في تعمير تلمسان، مقترحا عليه أن يحرر له خمسة أو ستة أسرى يختارهم ملك أراغون، وتشدد أبو تاشفين في رفضه لدرجة أنه قطع الطريق حتى على عملية مبادلة بين الأسرى[109].

وفي مراسلة أخرى سنة 764ه/1362م استجاب أبو حمو موسى الثاني لطلب بيدرو الرابع حاكم أراغون، والقاضي بتحرير مجموعة من الأسرى حاولوا الإغارة على مرسى هنين وقبض عليهم، غير أن الكثير منهم فضل البقاء في تلمسان للعمل كمرتزقة في الجيش الزياني، وفضل نحو الثلاثين أسيرا قرروا الرجوع إلى قطالونيا، غير أنه وصلت لأبي حمو أخبار تفيد

ISSN 2437-0797
Dépôt Légale 6799-2015

بتنفيذ قطالونيين آخرين لغارة على كل من مراسي هنين ووهران ومستغانم، وأسرهم العديد من المسلمين، وهو مافرض على أبي حمو استبقاء هؤلاء الأسرى ليقوم بمبادلتهم مع أسرى المسلمين لدى أراغون[110].

وتفصح إحدى المراسلات المؤرخة سنة 764ه/1362م، عن عقد أبو حمو الثاني معاهدة سلم مع بيدرو الرابع لمدة خمس سنوات، تعهدا فيها بإطلاق الأسرى من الجانبين " فإن كان من جهة النصارى فعلى السلطان المذكور تسريح الأسرى ورد مايأخذونه للمسلمين...وعلى مولانا السلطان أعزه الله مثل ذلك سواء"[111].

6-أسرى ضمان الطاعة:

لا يمكن في حالة الحرب الدائمة، أو كما سماها توماس هوبس حرب الكل ضد الكل، أن ينتشر جو الثقة بين مختلف القبائل سواء المعتلية عرش السلطة أو القبائل التي تعيش في معارضتها، بل وحتى القبائل المتحالفة معها، ذلك أن الجو العام كان يخيم عليه الإضطراب، فلا حليف دائم ولاعدو دائم، ومن هذا المنطلق سعى أمراء الدولة الزيانية إلى اللجوء لسياسة أخذ الرهائن من أجل عدة أهداف، كضمان طاعة القبيلة له، واستمرارها في دفع الضرائب:

لم يكن يغمراسن وهو يصارع الأعداء في الجهة الشرقية والغربية وفي الداخل في ظل تعامل المرينيين مع القبائل بنفس السياسة، فكانوا لايقبلون بحلف دون ضمانات، وحتى يقلب يغمراسن الكفة في صفه توجه لإستنقاذ مراهين بني عسكر من قبضة المرينيين[112]، وإذا كانت ضرورات السياسة فرضت على أمراء السلطة الزيانية بتوخي الحذر والحرص على أخذ ضمانات من الطرف الحليف، فإن بعض أمرائها ونخص بالذكر أبي حمو الأول تميز بذلك واشتهر بمبالغته فيه خصوصا أنه كان ذو شخصية ميالة لعدم الثقة والشدة، فقد وصفه ابن

خلدون بالشدة والصرامة والحدة[113] ،كما وصفه يحي بأنه " شعلة وغمام، وبهمة مراس،وأسد بطش وافتراس... وكان فظا غليظا "[114] فقد حرص على أخذ الرهن من أجل ضمان الطاعة ودفع الضرائب، ففي سنة 710ه/1310م أخذ الرهائن من كل بطون قبيلة بني توجين[115] ،وفي سنة 712ه/1312م أخذ الرهائن من جبل موصاية ومتيجة حتى لايخالفوا صهره محمد بن يوسف الخارج عن طاعته[116].

تميز أبو حمو الأول بمبالغته في أخذ الرهائن، فلم يكن يكتفي بعناصر معينة من أبناء زعماء القبائل فقط، بل كان يأخذ عدة رهائن من بطن واحد، بل أخذ رهائن حتى من بطون قبيلة بني عبد الواد تحسبا لأية انقلاب أو خروج عن الطاعة مثلما حدث مع صهره محمد بن يوسف، بل وحتى عماله على الولايات الواقعة تحت سلطته كان يأخذ أبنائهم كرهائن، وحتى عامة الناس لم تسلم من هذه الإجراءات الأمنية، وقام بتشييد أحياء سكنية مخصصة لهم " فملأ تلك القصبة من أبنائهم وإخوانهم وشحنها بالأمم بعد الأمم، وأذن لهم في إبتناء المنازل واتخاذ النساء، واختط لهم المساجد فجمعوا بها لصلاة الجمعة، ونفقت بها الأسواق والصنائع، وكان حال هذه البنية من أغرب ماحكي في العصور عن سجن"[117].

لكن يجدر بنا التوقف عند هذه القصبة وسماح أبو حمو للرهائن بممارسة أنشطتهم الإقتصادية والإجتماعية والعيش بطريقة عادية، فهل كان هدف أبي حمو من كل هذا هو ضمان دفع الضرائب والطاعة؟ أم أنه كان يهدف لأمر آخر كان يمثل توجه انتهجه أمراء الدولة الزيانية، والمتمثل في سعيهم الحثيث إلى تعمير تلمسان بالأسرى التي يبدو أنها كانت تشهد خللا ديمغرافيا؟ كما نجد لهذه السياسة صدى لدى إبنه أبو تاشفين الأول الذي أخذ رهائن من القبائل الساكنة بأحواز بجاية كضمان لطاعتهم له ودفعهم للضرائب[118]، كما لم

تجد قبائل حصين لتفادي تنكيل أبو ثابت بهم سوى رجوعهم لطاعته وقدموا أبنائهم كرهائن لضمان الطاعة[119].

كما انتهج أبو حمو موسى الثاني هذه السياسة، ففي سنة 764ه/1362م عاد العرب لطاعته وعرضوا عليه تسليم رهائنهم كضمان للطاعة، حيث خرج ابنه أبو تاشفين لاستلامهم بالبطحاء[120]، وفي نفس السنة خرج الوزير عبد الله بن مسلم وأخذ الرهائن من عرب حمزة، وقصد رجوع أبو الليل بن موسى زعيم الزواودة إلى طاعة أبو حمو موسى الثاني أعطى ولده رهينة[121]، كما قدم يعقوب بن علي بن أحمد شيخ رياح إبنيه كرهن لطاعة أبو حمو الثاني[122].

على أن أبو حمو استثنى بعض الحالات التي استغل فيها الأمر من زاوية أخرى، فكان يرجع الرهن للقبائل في محاولة منه لاستمالتهم عن طريق التأثير فيهم، مثلما كان الحال مع قبيلة رياح الذين قدموا له رهائنهم، إلا أنه أرجعهم إليهم كتعبير عن ثقته بهم[123]، وفعل نفس الأمر مع أبي بكر بن عريف الذي أرسل له إثنين من إخوته كرهائن، غير أن أبو حمو " عفا عنهم وحاسن أولاده وردهم إليه"[124].

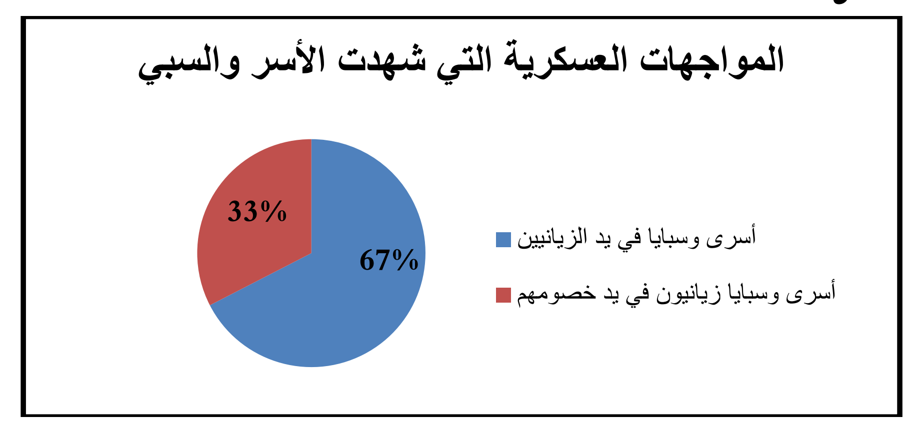
الخاتمة:

نستطيع القول أن قضية الأسرى والسبايا خلال العهد الزياني عرفت رواجا كبيرا بسبب الانتشار الواسع للنشاط العسكري الذي ينتج عنه سلب ونهب للمنهزم بما يحويه من غنائم بشرية، وهو ما أدى إلى عملية التزاوج بين القبائل البربرية فيما بينها، ومع القبائل العربية أيضا، ونجزم القول أن إنسان المغرب الأوسط خلال العهد الزياني عانى كثيرا من صنوف الخوف الدائم، خصوصا أنه عاش في وسط معرض فيه للأسر والسبي في كل لحظة، دون إهمال

ISSN 2437-0797
Dépôt Légale 6799-2015

توجه السلطة الزيانية لنفس المنحى، حيث نجدها أسرت في نشاطها العسكري العديد من الأسرى بمختلف أعراقهم، سواء عرب أم بربر أم نصارى، ويخيل إلى الدارس إذا تتبع هذه القضية من منظور سيكولوجي أن تحرير الأسير أو فداءه كان بمثابة طوق الخلاص له ولأهله.

الملاحق:



الهوامش:

1-عبد الرحمن بن خلدون،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،2000،ج7،ص108.

2-محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،تحقيق محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985،ص151.

3-نفسه،ص151.

4-وهي إحدى مدن بلاد الزاب، وقد عرفت تعميرا في العهد البيزنطي، بها آثار تبين ذلك، تبعد عن قلعة بني حماد بأربعة مراحل، وعن قسنطينة ثمانية عشر ميلا، سكنها العرب والبربر والجند والمولدون، تعتبر ميلة مدينة محصنة ففيها سور جليل وقربها جبل بني زلدوي، ولها باب يسمى بباب الروس وباب جوفي داخل المدينة، وبها عيون ماء عديدة، منها عين أبي السباع التي تنبع من جبل تامروت، وعين الحمى التي وصفها الرحالة أنها تشفي من مرض الحمى، وميلة مدينة عامرة آهلة بالسكان كثيرة الخصب رخيصة الأسعار، تضم عدة أسواق وحمامات، وبها جامع قرب عين أبي السباع، وهي كثيرة الأشجار، يكثر فيها التفاح والسفرجل والعنب.

الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان، بيروت،ط2 ،1984،صص568-569.مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.س، ص166.

5-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة،الجزائر،2011،ص25.

6-نفسه،ص25.

7-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7 ،ص178.

8-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص31.

9-يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر،2011، ج2،ص55.

10-هم أبناء أبي ربيعة بن نهيك ابن هلال ابن عامر، دخلوا بلاد المغرب في إطار الهجرة الهلالية خلال القرن الخامس الهجري، وتغلبوا على طرابلس وقابس، وبعد ثورة ابن غانية وقفوا في صف الموحدين، ودخلوا إلى المغرب الأوسط وتحالفوا مع بني يادين الزناتيين، واستقروا في المناطق الممتدة مابين المسيلة وتلمسان، حيث عاشوا في قفارها، ليدخلوا التل بعد ذلك ويتغلبوا عليه، تنقسم هذه القبيلة إلى عدة بطون، نذكر منها بنو يزيد بن زغبة المستقرون بأحواز بجاية وبلاد حمزة بعد إقطاعها لهم من طرف الموحدين، وحصين بن زغبة المستقرون بتيطري،وبنو مالك بن زغبة، وبنو عامر بن زغبة المستقرون في أحواز تلمسان، وعروة بن زغبة. عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7 ،صص54-76.

11-يحي بن خلدون،المصدر السابق ، ج2،ص242.

12-نفسه، ج2،ص100.

13-نفسه، ج2،ص224.

14-نفسه، ج2،ص262.

15-نفسه، ج2،ص268.

16-نفسه، ج2،ص305.

17-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص381.

18-الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1983، ج2ص30.

19-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7 ،ص157.

20-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص31.

21-نفسه،ص85.

22-نفسه،ص141.

23-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص49.

24-نفسه ، ج2،ص49.

25-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7 ،ص169.

26-نفسه،ج7 ،ص581.

27-نفسه،ج7،ص381.

28-نفسه،ج7 ،ص162.

29-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص47.

30-نفسه، ج2،ص186.

31-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص178.

32-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص186.

33-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص481.

34-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص185.

35-عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7،ص129.

36-ينتمون لبطن بني بادين، انحصرت مجالاتهم بوادي شلف والونشريس، ثم سيطروا على وبسائط السرسو بعد تغلبهم على بنو وجديجن ومطماطة، تتفرع إلى عدة بطون على غرار بنو يدللتن، بنو قمري، بنو مادون، بنو زنداك، بنو وسيل، بنو قاضي، بنو مامت، وهي من القبائل التي فرضت وجودها بفضل أعداد مقاتليها المعتبرة، فقد وصفهم ابن خلدون أنهم من "أعظم أحياء بني يادين وأوفرهم عددا"، تعود جذور صراعهم العسكري مع بني عبد الواد منذ العهد الموحدي، كما تغلبوا على مغراوة وسيطروا على العديد من مجالاتها، مثل منداس والجعبات وتاوغزوت، كان أميرهم في بدايات الدولة العبد وادية يدعى عبد القوي، ثم خلفه ابنه يوسف بعد وفاته سنة 647ه، ثم قتله أخوه محمد وتولى الإمارة، علاقتهم مع بني عبد الواد "تختلف في السلم والحروب".ابن خلدون، العبر، ج7،صص205-208.

37-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص219.

38-نفسه، ج7،صص219-220.

39-نفسه، ج7،ص178.

40-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج1،ص262.

41-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص31.

42-نفسه،ص30.

43-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص63.

44-نفسه، ج2،ص188.

45-نفسه، ج2،ص242.

46-نفسه، ج2،ص262.

47-نفسه، ج2،ص287.

48-علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،الرباط،1973،ص116.

49-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص244.

50-نفسه، ج7،ص245.

51-نفسه، ج7،ص381.

[52]- نفسه، ج7،ص382.

53-نفسه، ج7،ص173.

54-نفسه، ج7،ص173.

55-يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص244.

56-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص178.

57-ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،2001،ص83.

58-حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء،2009،ص336.

59-Dufourcq, Prix et niveau de vie dans les pays catalans et maghribins à la fin du 13^{e} et au début du 14^{e}, le moyen age, n3-4, Belgique, France,1965,p501.

60-أبي العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب،تحقيق محمد عثمان، عالم المعرفة، الجزائر، 2011،ج4، ص217.

61-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص161.

62-نفسه،ص169.

63-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج2،ص72.

64-مصطفى نشاط، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، المغرب، 2012،ص74.

65-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص186.

66-نفسه،ص141.

67-ابن الأحمر، المصدر السابق،ص75.

68-يحي بن خلدون، المصدر السابق ، ج1،ص155.

69-الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص448.

70- أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ج3،ص152،312.

71-بكسر الراء، وهو الملك والعبودية، وسمي رقيقا بحكم أن العبد يرق لمالكه أي يذل ويخضع، وهو نقيض العتق أي التحرير. ابن منظور، لسان العرب،دار صادر، بيروت، د.س،ج10،صص123-124.

72-نفسه، ج1،ص239.

73-عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر،منشورات سعيدان،تونس،2002،صص 90-91.

74-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص152.

75-للمزيد حول السفارات التي قام بها هلال القطلاني أنظر:عمر سعيدان، المرجع السابق.

76-محمد العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، extrait du Bulletin d'etudes orientales de . l'institut francais, damas,1967,p261.

.عبد الإله بنمليح،ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي،منشورات الزمن،الرباط،2002،ص26.

77-محمد العقباني، نفسه،ص244.

78-عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1979،ص49.

79-شهاب الدين أحمد التيفاشي، نزهة الألباب فيما لايوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، رياض الرويس للكتب والنشر،لندن،قبرص،1992،ص112.

80-الونشريسي، المصدر السابق،ج4،ص302.

81-سئل العبدوسي عمن استحق من يده جارية فادعى أنه كان أولدها. الونشريسي، المصدر السابق،ج4، ص502.

82-نفسه، ج4،ص502.

83- المازوني،المصدر السابق، ج2، ص184.

84-الونشريسي، المصدر السابق،ج4، ص302.

85-المازوني، المصدر السابق، ج3،ص99.

86-الحميري،المصدر السابق،ص316.

87-شهاب الدين أحمد التيفاشي، المصدر السابق،ص74.

88-ابن الحاج، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة،د.س،ج3،ص4.

89-الماوردي،الأحكام السلطانية والولايات الدينية،تحقيق أحمد مبارك البغدادي،مكتبة ابن قتيبة، الكويت،1989،ص161.

90-ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش،دار يعرب، دمشق،2004،ج1، ص457.

91-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ص31.

92-نفسه،ص141.

93-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص481.

94-نفسه،ج7،صص161-162.

95-نفسه،ج7،ص162.

96-نفسه،ج7،ص111.

97-يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص230.

98-نفسه، ج1،ص260.

99-نفسه، ج1،ص262.

100-نفسه، ج2،ص189.
101-نفسه، ج2،ص189.
102-نفسه، ج2،صص233-234.
103-نفسه، ج2،ص49.
104-نفسه، ج2،ص49.
105-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص31.
106-نفسه،ص134.
107-نفسه،ص186.
108-عمر سعيدان، المرجع السابق،صص65-66.
109-نفسه،صص 90-91.
110-نفسه،صص138-139-140.
111-نفسه،ص157.
112-محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981،صص 112-113.
113-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص132.
114-يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص235.
115-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص132.
116-يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص237.
117-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص139.
118-نفسه،ص144.
119-عبد الرحمن بن خلدون،نفسه،ج7،ص159. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص261.
120-يحي بن خلدون، نفسه، ج2،ص125. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان،ص247.
121-يحي بن خلدون، نفسه، ج2،ص128.
122-نفسه، ج2،ص194.
123-عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص174.
124-يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2،ص306.